المحاضرة الثانية

الأنثربولوجيا : موضوعها (تابع) ، أهدافها

وكما سبقت الإشارة إليه في المحاضرة السابقة فإن طابع الشمولية والاتساع الذي يميز موضوع علم الإنسان ، بدلالاته وأبعاده ومضامينه المتعددة والمتشعبة ، الطبيعية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، وهو ما جعل موضوعه يشكل نقطة تقاطع وقاسم مشترك للعديد من التخصصات العلمية .

فالعلوم الطبيعية ومنها البيولوجيا ركزت على دراسة الإنسان كفرد وكوحدة قائمة بذاتها من حيث البناء البيولوجي والطبيعي للجسم ووظائف الأعضاء ، ومراحل البناء والهدم الخلوي ، كما اهتم الطب بفحص وتشخيص الأوبئة والأمراض التي يتعرض لها الجسم البشري وتفسير مسبباتها ، وتحديد الأدوية الناجعة للحد منها .

وقد ركزت العلوم الاجتماعية على بحث الجوانب السلوكية للإنسان من حيث تجلياتها ، وكذا جملة الدوافع والأسباب الكامنة وراء تبلور تلك الأشكال والمظاهر السلوكية من زوايا ومداخل مختلفة ، ولكنها تتقارب وتتكامل بل وتتداخل في الكثير من الأحيان .

فعلم الاجتماع باعتباره أحد فروع العلوم الاجتماعية اهتم بدراسة أساليب وأشكال ومضامين الحياة الاجتماعية ومختلف الظواهر الناجمة عنها من خلال التركيز على تحليل طبيعة النظم والأنساق الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية والسياسية والعلاقة بين تلك النظم ، وبنية الجماعات والكيانات الصغيرة كالأسر والقبائل والعشائر ، والمعقدة كالمدن والحشود الحضرية .

كما وجه علم النفس اهتمامه نحو دراسة السلوك الفردي كوحدة منفصلة من خلال التركيز على التحليل الباطني للنفس البشرية عن طريق ما يعرف بمنهج الاستبطان

للتعرف على العوامل الداخلية المؤثرة في أنماط السلوك والخصائص البنائية لشخصية الفرد كالإدراك والذكاء والانفعالات ....

في الوقت الذي نجد فيه علم الاقتصاد قد اهتم بتحليل السلوك الاقتصادي ، حيث نظر إلى سلوك الإنسان على أنه محور الدورة الاقتصادية ،هدفه تحقيق أقصى حد ممكن من المنفعة كمنتج ومسوق من جهة ، وكساع لتلبية احتياجاته المادية وكمستهلك من جهة ثانية.

واهتمت العلوم السياسية بدراسة أشكال الحكم وخصائص النظم السياسية والعوامل المؤثرة في تشكيلها ، وأنماط توزيع مراكز القوة والنفوذ داخل المجتمع ، وتأثير ذلك على بلورة طبيعة العلاقة بين السلطة والجماهير....

كما انكب التاريخ على تأريخ الحوادث الإنسانية في الماضي والحاضر، عبر تتبع سيرورتها عبر الأزمنة المختلفة ، والعوامل المؤثرة في حدوثها ، وتحليل مختلف العلاقات بينها ، بغية فهم الحاضر ورصد المستقبل .

وعليه فإن علم الأنثربولوجيا يركز اهتمامه على دراسة الإنسان وطبيعة التفاعل بينه وبين محيطه الطبيعي والاجتماعي ومختلف النتائج والآثار المترتبة عن ذلك التفاعل كأنماط الحياة وأساليب التنظيم ومستويات المعيشة والتطور وغيرها في زمان ومكان محددين، في حين أن العلوم الأخرى تركز اهتمامها على الظواهر الأخرى أنى وجدت في الطبيعة .

لذلك هناك من يقسم موضوع الأنثربولوجيا إلى قسمين كبيرين هما :

- **الأنثربولوجيا الطبيعية** : ويبحث الخصائص الفيزيولوجية والعضوية للإنسان

- **الأنثربولوجيا الاجتماعية والثقافية :** ويبحث في أعمال الإنسان وسلوكياته ، وعلاقته ببني جنسه وأيضا بالظواهر الأخرى الموجودة في محيطه الطبيعي .

وهو ما جعل الباحثة الأمريكية **" مارغريت ميد"** تحدد موضوع الأنثربولوجيا وأبعاده بقولها : "إننا نصنف الخصائص الإنسانية للجنس البشري البيولوجية والثقافية كأنساق مترابطة ومتغيرة ، وذلك عن طريق نماذج ومقاييس ومناهج متطورة ، كما نهتم أيضا بوصف النظم الاجتماعية والتكنولوجية وتحليلها ، إضافة إلى البحث في الإدراك العقلي للإنسان وابتكاراته ومعتقداته ووسائل اتصاله " .

وعليه فإن الأنثربولوجيا من حيث الموضوع هي العلم الذي يهتم بدراسة أوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان والكائنات الأخرى ، وكذا أوجه الشبه والاختلاف بين الإنسان وأخيه الإنسان ، ويدرس السلوك الإنساني ضمن المنظومة الثقافية والاجتماعية ، فهي لا تدرس الإنسان كفرد على غرار العلوم الطبيعية الفيزيولوجية أو علم النفس ، إنما تهتم بدراسة الإنسان ككائن اجتماعي يعيش ضمن جماعة وتربطه بها علاقات اجتماعية مختلفة .

ثالثا : أهداف الأنثربولوجيا :

تهدف الدراسات الأنثربولوجية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن تلخيص أهمها كالآتي :

1- وصف مظاهر الحياة الإنسانية وصفا دقيقا عن طريق معايشة الباحث للجماعة المدروسة ، ومشاركتهم سلوكياتهم اليومية ، وتسجيل كل تلك السلوكيات التي تصدر عن أفرادها في تعاملاتهم اليومية .
2- تصنيف خصائص الحياة الاجتماعية والحضارية للإنسان بعد دراستها دراسة واقعية متخصصة ، في سياق الترتيب التطوري والحضاري للإنسان (بدائي ، وراعي، صناعي ، معرفي ، تكنولوجي ،...).
3- تحديد أصول التغير الاجتماعي والحضاري للحياة الإنسانية ، وأسباب ذلك التغير وعملياته واتجاهه بدقة ، وذلك بالرجوع إلى الماضي التاريخي للتراث الإنساني وربطه بالحاضر ، من خلال تطبيق النهج التاريخي المقارن ، لتحديد مواقع وجوانب التغير وعناصره المختلفة .

4- استنتاج مؤشرات التغير ورصد اتجاهه والتوقعات المحتملة الناجمة عن ذلك التغير في الظواهر الإنسانية ، ومحاولة التنبؤ بمستقبل الحياة الاجتماعية للمجتمع محل الدراسة .